# «الفياجرا» ليست هي الحل!

مشاهدات

عصمت الموسوي
esmato5@hotmail.com

جاء في مؤتمر الجمعية العربية للصحة الجنسية، الذي رعته الجامعة العربية، واستضافته مدينة دبي مؤخرا، أن اكثر من نصف رجال العرب ونسائهم غير راضين عن حياتهم الجنسية. النتائج استخلصتها دراسة ميدانية واسعة النطاق اجريت على شريحة كبيرة من الجنسين اجرتها شركة «فايزر الامريكية» المنتجة لعقار «الفياجرا». الشركة تجارية وأهدافها تجارية وترويجية وتسويقية ايضا لكنها لجأت الى استطلاعات الرأي والدراسات لتأكيد مصداقية نتائجها. فقد وجدت ان ترويج عقار منشط جنسيا يقتضي ايضا الدخول الى تفاصيل الحياة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية للفرد.

يقول الكاتب الياباني نوبو واكي نوتوهارا مؤلف كتاب «العرب وجهة نظر يابانية»: «إن الانسان العربي وبسبب غياب العدالة الاجتماعية قد تحول الى كائن ساكت وهش ومحبط ومؤقت، فحكوماته لا تعامله بجدية بل تسخر منه، وتضحك عليه في الصباح وعليه ان يصدق أكاذيبها في المساء».

واذا أرادت شركة عقار فياجرا معالجة العلل الجنسية فسوف تضطر الى سبر عالمنا الاخرى ذات الاتصال، من يدري، قد تحقق الدراسات التجارية و(البزنس) - المعلنة النوايا والاهداف - ما عجزت عنه السياسة المخفية النوايا والاهداف. ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان الاستبداد والاستغلال وقوانين الطوارئ والاحكام العرفية المتحكمة في مفاصل الحياة العربية تدفع الى الاحباط والاكتئاب واليأس من إمكانية تحقيق التغيير. وهي احد اسباب تراجع الأداء الجنسي لدى الرجال والنساء العرب. وهو ما اشار اليه قبلا عدد من البحوث والدراسات، الا انه في عالمنا المعتم وغير الشفيف يعد ضمن المواضيع المسكوت عنها.

الحياة السياسية العربية التي تنعدم فيها المشاركة وتغيب الحقوق البشرية والانسانية وتنقلص الحريات ويتضاءل دور المرأة، يتحول فيها الافراد الى مجرد عناصر مستكينة وخامدة، وينسحب الضعف والتراخي على بقية اصعدة الحياة، كالحب والعلاقات الحميمية، ومن الطبيعي ان يؤدي التصحر الديمقراطي الى جفاف عاطفي واجتماعي واقتصادي، لكن الخشية ان تدفع هذه النتائج المحزنة لشركة العقار إلى محاولة ايجاد علاجات سهلة تعتمد العقاقير وحدها، فيصير التركيز على تعاطي الادوية المنشطة جنسيا بدلا من تهيئة الارضية الملائمة للتفتح الانساني السليم ولانعاش الحريات الفردية والمجتمعية وللاصلاح السياسي وتوسيع هامش المشاركة في الحياة السياسية، ومنح المجتمع المدني دورا حقيقيا في بناء الوطن. اضافة الى تمكين النساء اللاتي يشكلن النصف المعطل والمغيّب.

ان المال وحده لا يصنع الفرح ولا يدفع للرغبة الجنسية، ولا يضخ الحيوية في الاوصال الهامدة الميتة، لو اعتمد الامر على المال وحده لكان اهل الخليج الاثرياء اسعد سكان المعمورة، ان رجال العرب ونساءهم لا يحتاجون «الفياجرا» سواء في بواكير العمر أو في منتصفه بقدر ما يحتاجون الى كشف الغمة عن الهموم والاوجاع والاحباط الذي يعانونه، انهم يحتاجون الى اطلاق طاقات العقل وملكات الكلام والتحرر من المخاوف والهواجس ومن سلطة النظم السياسية والدينية ومن ضغط التقاليد والاعراف، ان الفرح منعدم في حياتنا بسبب الكتمة والعتمة ونمط الحياة البليد المعيق لسنة الكون وللتغيير.

حتى الشركات التجارية ستكتشف ان علة العالم العربي تكمن اولا واخيرا في الاستبداد الذي هو اصل عللنا، وفي غياب الديمقراطية الحقيقية وفي استحالة التغيير، لا تنتظروا اداء جنسيا رفيعا من انسان مقتول سياسيا واجتماعيا. وحذار من الركون الى «الفياجرا» باعتبارها حلا.

## أوراق يومية

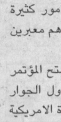

أحمد كمال

## مؤتمر بغداد (1 / 2)

مؤتمر بغداد الذي انعقد بداية هذا الاسبوع، شمل الكثير من رغبات المشاركين فيه وضم الكثير من هؤلاء المشاركين، واحتوى من خلال ما جرى داخله من نقاشات على امور كثيرة ومتنوعة حيث أدلى المشاركون بدلوهم معبرين عن رغباتهم ومصالحهم.

رئيس الوزراء نوري المالكي افتتح المؤتمر بدعوة واضحة للمشاركين وهم دول الجوار والدولة المحتلة الولايات المتحدة الامريكية ومصر والبحرين.. قال في كلمة الافتتاح للمؤتمرين «ارفعوا ايديكم عن العراق.. لا تتدخلوا في شؤنه ولا تتنافسوا في الصراع على أرضه ولا تحاربوا من تعادونه على هذه الارض»..

هوشيار زيباري وزير الخارجية العراقي بدا متفائلا بأن هذا اللقاء ستتبعه لقاءات كثيرة وعديدة وسيضم اطرافاً جديدة وسيشكل لجانا مختلفة للتنسيق الامني ومتابعة مأساة المهجرين والمهاجرين العراقيين الى دول الجوار..

إيران اتهمت الولايات المتحدة رغم ما جرى من لقاءات مباشرة معها داخل المؤتمر وكذلك سوريا، وهما الدولتان اللتان تتدخلان وبصورة مباشرة في الشأن العراقي وشاركان بطريقة أو بأخرى فيما يجري من عنف وتفجيرات وقتل جماعي وبأساليب مختلفة. وتشعل إيران زيادة على ذلك نار الطائفية وبشكل واضح بانحيازها ودفاعها ومساعداتها لطرف على طرف آخر. وتسيطر وبشكل مباشر على مدينة البصرة الجنوبية.

أما الولايات المتحدة الامريكية المتورطة الكبرى الاساسية في ما يدور داخل العراق من حرب على مختلف المستويات والانواع التي نالت الكثير من المصائب بقياداتها لدول التحالف المتفقة معها والمشاركة في احتلال العراق.. على لسان مندوبها داخل المؤتمر وهو سفيرها في بغداد خليل زاده اعتبر ان المؤتمر ناجح وانه حقق فرصة للحوار وللجلوس معا والمصارحة. فقد جلس جنباً الى جنب وواجه مندوبا ايران وسوريا اللتين تعتبر بلاده انهما العدوتان اللدودتان لها..

المهم في الموضوع برمته وهو موضوع المؤتمر الذي دعت اليه الحكومة العراقية نيابة عن الولايات المتحدة الأمريكية وهي الراغبة في عقد هذا المؤتمر كبداية وتغطية وذريعة لخروج أمريكي مشرف وهو ما توصل اليه قرار الرئيس الامريكي بوش بعد ان أعيته الحرب في العراق سواء على ساحة المعركة العراقية أو الساحة الداخلية في الولايات المتحدة الامريكية سواء في مواقف الكونجرس أو في المظاهرات الصاخبة التي كانت وما زالت تقوم في مختلف الولايات الامريكية، وفي مقدمتها واشنطن ونيويورك مطالبة بالخروج بأي وسيلة، حتى ولو كان ذلك يمثل هزيمة لبلادهم من أرض الرافدين.

وغداً نكمل حديث مؤتمر بغداد

# في البحث عبثًا عن المبادرة

من الصعب تخيل حلول قريبة لمشكلات المنطقة العربية، فالوضع ينحدر من سيء إلى أسوأ. وسط عجز عربي كامل عن المبادرة. وضعف أمريكي واضح في جسم معظم ما تورطت فيه خلال الأعوام القليلة الماضية.

فلا الحرب الكونية على الإرهاب، التي تقودها الولايات المتحدة، جلبت الأمان للدول المتضررة. ولا يزال السياح يقتلون في غير دولة عربية. ولا تزال قوى الامن عاجزة عن تفكيك شبكات العنف التي تعلن «انتصاراتها» كل يوم على شبكة الانترنت.

في الوقت نفسه، لا تملك هذه الدول أي قدرة على المبادرة أو ابتكار حلول وطنية (مستقلة) للمشكلات السياسية التي تشل حركة المنطقة. وربما لجأ البعض إلى «الخصوم» لتمرير بعض الحلول. كما في الحالة السعودية - الايرانية واجتماعات مسؤولي البلدين المتعاقبة في شأن العراق ولبنان والتوتر الطائفي فيهما.

مصر حالة أخرى. الارتياك واضح لدى الحكم في شأن التعامل مع قضية الأسرى الذين أعمتهم القوات الاسرائيلية خلال حرب حزيران. كان صوت الشارع صاخبا. وذلك طبيعي. لكن الصوت الحكومي لم يظهر. غلب صمت مثير للتساؤل على الموقف الرسمي. وكأنه ينتظر إشارة ربما لن تأتي أبدا. أو مبادرة ما تجعل الامر وكأنه لم يحدث. ربما خشية تعكير التوازن القائم والعلقة الفاترة مع اسرائيل. أو التشويش على ما يتم التخطيط له داخليا لا سيما في مسألة ترتيب الحكم.

مثال آخر يجسده خطاب العاهل الأردني أمام جلسة مشتركة للكونغرس الأمريكي قبل يومين. خطاب لم يقدم حلولا. ولم يظهر قدرة على المبادرة الذاتية. بل كان في مجمله «تحديا» للإدارة الامريكية «لاحياء قيادتها»، كما لاحظ كاتب متذاك. كان الخطاب «التاريخي» مناشدة للولايات المتحدة من أجل التحرك سريعا لإنقاذ المنطقة والأنظمة الصديقة لها (أو المعتدلة حسب مفردات الخطاب) من خطر الأصوليات والحركات الراديكالية. كان خطابا مفعما بالرجاء من أجل أن تتسلم واشنطن زمام الأمور من جديد لوضع الأشياء في نصابها المنطقي: سكة السلام المنشود.

ملاحظ هنا أن الدول الثلاث حليفة للولايات المتحدة. دول ليست معزولة أو محاصرة كغيرها. لكن حرية الحركة لديها تبقى رغم ذلك محدودة أيضا. إن لم تكن غير متوافرة أصلا. الموقف يبقى أيضا في انتظار زيارة الوزيرة الأمريكية رايس المقبلة. وبين الزيارة والزيارة تقطيع للوقت بالحديث عن الأماني وما يفترض أن يكون. وربما بعض المشاكسات الإقليمية التي كثيرا ما تتكفل بها وسائل الإعلام المحسوبة على هذه العاصمة أو تلك.

بينما تبقى المبادرة أكثر حضورا عند نظام معزول كسوريا مثلا. فلدى دمشق رغم كل شيء بعض الأوراق التي تنفع وقت الضيق. والتاجر الشامي لا يغلب. لديه دوما ما يبيعه للسياح. قد لا يحتاج كثيرا لبناء محلته.

لذلك على الأرجح لن نسمع الرئيس السوري يعتذر لمن انتقدهم بحدة خريف العام الماضي. وقبيل إنه سيعتذر خلال أيام من أجل تعويم موعود خلال القمة العربية المقبلة. لكن دمشق تعلم أن مشاركتها في مؤتمر بغداد الأمني (بحضور الراعي الرسمي) أهم كثيرا من حضور القمة العربية. هي تعلم أن عزلتها أصلا قرار أمريكي. وأن استئناءها من أي محادثات عربية قرار أمريكي. لذلك تحرص على أن تكون مبادراتها تتجه نحو واشنطن حتى لو كانت تلك تبعد آلاف الأميال.

المبادرات الأخرى تصدر عن أطراف غير رسمية. ليس مهما سلبيتها. وتداعياتها الدموية. هي تبقى مبادرات لا تزال الحكومات عاجزة عن ملاقاتها. أو صدها. حركات التطرف تتصدر القائمة. تبقى المنطقة على حافة الجرف ورهن التوتر طول الوقت. صارت المنطقة بفعل هذه المبادرات برميل بارود قابلا للانفجار في أي لحظة. كما قال الملك عبدالله بن عبدالعزيز قبل بضعة أشهر.

وفق التحليل السائد فإن الوضع في المنطقة غير قابل للتحسن قريبا. وربما زاد سوءا. رغم صعوبة تخيل وضع أسوأ مما هو حاصل اليوم. لذلك يشاء البعض أن يعتزل السياسة. ويتصرف نحو مجالات أخرى يجد فيها هامشا أكثر فسحة للمناورة والابتكار. أملة كثيرة. وإن كان أغلبها في منطقة الخليج. غير أن خطر الشلل السياسي العام لا يؤمن جانبه. وقد تهدد تداعياته استقرار الدول الأصغر.

لهذا كله مطلوب من القمة العربية المقبلة أن تكون أكثر من مناسبة مملة للصور التذكارية. لا بد من قرار حاسم بصياغة عقد عربي جديد يعيد النظر في كل «الثوابت» والأهداف لتحديد طبيعة المبادرات المطلوبة وآلية تنفيذها. ولا بد من قرار واضح وصريح بالالتزام بالديمقراطية واستقلال القرار. ولا بد من التزام لا يقبل التأويل بفك الارتباط عن الحركات الدينية المسيطرة على الأنظمة والممسكة بمفاصل الدولة.

لكن ذلك كله يحتاج إلى المبادرة. وذلك للأسف غير متوافرة. فالحل في انتظار المباركة. و«ضوء أخضر» لن يأتي.. سيكو شئ انتظرا طو يلا و مملا.

محمد المزغل

**لا بد من قرار واضح بالالتزام بالديمقراطية**

# مناهضة الثقافة وثقافة البذاءة

تطرق بعض النقاد في الغرب ذات يوم، لأهمية دراسة الأدب الرديء كما هو الأدب الجيد والإبداعي. باعتبار أن الأول هو تعبير عن اتجاهات ثقافية ومجتمعية، ويمثل ظاهرة لمستوى من مستويات الثقافة السائدة، وواحد من اتجاهاتها، ولا يمكن مقارنة الأدب الجيد في ظل غياب تقييم الأدب الردىء، وبات تصنيف الجيد معادلة غير مكتملة موضوعيا.

فيقودنا هذا الحديث إلى أولئك الناس في مجتمعنا الذين يكنون عداء ظاهرا ومستبطنا إلى حد الكراهية لكل ما هو جديد ومعبر عن روح المجتمع وتقدمه وإبداعه الفكري والروحي، فلا يرون في الثقافة إلا «دسخانة»، مما يجعلنا نفهم تلك العدائية الدنائية للثقافة الحياة، وتمسكهم الدائم والمستمر للثقافة الموت والتدمير، كجزء من ثقافة معادية للحضارة بكل تجلياتها المادية والروحية، فتنهمر مفرداتهم اليومية في تلك الثقافة البذيئة التي تعكس مكونات نفسية وروحية لظاهرة تسمى النيوفوبيا (neophobia) فهي تعبير عن الخوف من الجديد، وهذا الاتجاه يناقض اتجاه تلك المجموعات الاجتماعية الذين يميلون إلى التجديد والحداثة والميل والانجذاب إلى كل ما هو عصري ومتجدد وهم دعاة النيوفيليا (neophilia)، بين هذين النقيضين يتصارع المناهضون للثقافة والمولعون برفع شعار ثقافة البذاءة الذين يهتمون في خطابهم بتحريم كل شيء، ومعاداة كل ما هو يخالفهم، فلا يرون في صورة المجتمع ذلك التنوع محاولين استنساخ الثقافات الرديئة ونسيان الثقافة وتعدديتها وذوقها وتلونها وتجددها على طريقتها، محاولين إرجاع عجلة التاريخ نحو الوراء منشبثين بالسلف الصالح وكأنما حركة التاريخ لا تتقدم نحو الأفضل، فلا ترى في صورة العصر وثقافته ومنجزاته المعرفية والإنسانية العظيمة إلا ذلك الساق العاري والجسد المكشوف. فتبدأ لعنتهم وينهمر ويتطاير صراخهم. وكأنما ذلك الصراخ بصوت عال أمام سلطة الصحافة ودورها تعبير عن نزعة مناهضة للحريات وحق التعبير والاختلاف في ظل الشرعية للجميع.

فهناك خطوط وقيم ينبغي على الجميع احترامها ومعرفة حدودها ولا يجوز أن يسود مكان التسامح روح العداء والكراهية، خصوصا إزاء الصحافة والثقافة باعتبارها المسرح الواسع للتعبير عن جوانب الإنسان والمجتمع: الأول يدافع ويتابع مشاكله بأدواته الخاصة، والثاني يعكس تلك الروح بأدواته الفنية والإبداعية، فلكل أشكال الثقافة والتعبير صيغها وأساليبها التعبيرية فلا يجوز أن ننظر بذلك المنظار العدائي لها.

من يحاولون «تجريف الثقافة» من جذورها كما فعل الطاغية صدام حسين مع جنف الدجيل ينسون أن الثقافة لها جذورها الأعمق في روح الإنسان بل هي الإنسان وثنائيته الكونية، فلا يستطيع احد الوصول لها ولن ينجح احد بتدمير تلك الغابة الجميلة إلا بالقضاء على الإنسان من كوكبنا. ومن دون الموسيقى والشعر والرواية والمسرح والغناء والرقص والسينما وكل عناصر الإبداع المتجددة في عالم الثقافة، لا تستقيم الحياة أو تزدهر، ولا يمكن للقوى الظلامية من تجريفها واستئصالها حسب رغباتهم، كما لا يمكن اجتثاث الفرح ولحظته لدى الناس وهم يعيشون سعادة ربيع الثقافة محاولا الآخر بأشباحه تكريس خريفه الأبدي على ضمائر وعقول الناس وتعتيم حياتهم لأبد بذلك الكابوس اليومي المناهض للحريات والثقافة وحرية التعبير.

ترى ما الذي تعلمه الفارس من تلك الصحراء إن لم يكن الحب والشعر والموسيقى والحداء، وذلك المدى الرحب والأفق الواسع والتطلع للسماء الممتدة بحثا عن الأسئلة والمغامرة والماء والحياة والمرأة والحب، لهذا لم يكن مجنون ليلى إلا عاشقا من طراز رفيع لا يفهمه رجل متعطش للعيش في خيمة التخلف ومادياتها بالعودة للوراء من مفهوم ضيق الأفق ولصحرائه الجرداء الخالية من الحب، ومن مفاهيم متكلسة حول معنى قيم التطور والثقافة والتحرر، وفي مقدمتها تحرير العقل من حجارة وكهوف الموت وثقافته السوداء. لماذا يطارد الموتى بروحهم العصافير وهي تغني؟ لماذا تنهمر مفردات البذاءة لجمالية الرقص التي قال عنها دياجليف مصمم رقص «الباليه» بأن الرقص تعبير عن فلسفة الجسد. ولكن دعاة البورنو بمخيلتهم لا ينظرون للجسد إلا بمخيلة مريضة. من يحرمون الموسيقى لا تشدهم في الكون إيقاعات الفرح ولا يستوعبون معنى نشيد الانشاد لشيلر أو بتهوفن، ولن تحركهم تلك الطيور العميقة في الغابات الأفريقية أو قاعات الحداثة للكوخنا الكوبية، فكل ذلك في مفاهيمهم مجرد ثقافة سخيفة ومنحطة، لأن موت الروح لا يمكنه أن ينتج ثقافة راقية وخطابا مجتمعيا متقدما. فهم بمناهضتهم للثقافة يحاولون تصدير ثقافتهم الصفراء وأوراقهم المهترئة وتأبيد خطابهم المقبور وبكائياتهم المكررة.

من لا يحبون الثقافة التي تخترق عالمنا لا يرون أن حركة التاريخ لا يمكنها أن تتقدم من دون الثقافة مهما انطلقت سيوفهم القديمة عبر الصحراء، فقد كان للقلم قبل السيف، والشاعر قبل الجلاد تعبيراتهما الأبدية والمتجذرة في حضارة الأمم والشعوب. ترى من هو خير جليس في الزمان كتاب التنوير أم خطاب البذاءة والعداء والكراهية لكل ما هو جميل يشدنا نحو الحياة؟ فأنت جميل تحب الحياة فكيف عبادك لا يعشقون؟ ما الذي يحرك الحب وجمالياته في تلك اللوحات والتعبيرات الجسدية الراقصة والأشعار والأغنيات والسلالم الموسيقية، فالغناء سر الوجود، أم سالكلم التي تقودنا نحو جحيمكم الأسوأ من جحيم دانتي؟! يا لله لكم الحياة كاسدة وفاسدة وقاحلة من دون الثقافة وكم هي سجن رهيب ومحاكم تفتيش عصرية، حينما تتحول الصحافة ورجالاتها إلى مفردات مختزلة في لسان لم يتحصن كلاميا قبل ان يتحصن برلمانيا. من يحبون ثقافة الحكمة بالضرورة عليهم قراءة نهج البلاغة للإمام الخليفة علي بن أبي طالب، الذي قال «الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به وإذا ما تكلمت به كنت أو صرت في وثاقه». فهل نتحاشى ثقافة البذاءة ونحترم ثقافة الإبداع والحياة والتقدم والتعبير والنقد وتقبل السلطة الرابعة، باعتبارها الصوت المدافع عن الشارع السياسي والمجتمعي بكل مستوياته؟

بدر عبدالملك

**لم يكن مجنون ليلى إلا عاشقاً من طراز رفيع**